

### وقفه

## عن «كفرناحوم» ودائرة الفقر المتفحلة

منظر من فيلم «كفرناحوم»

«تسفه الكوارث طبيعياً، وكان الضيعة هي الجأذوليسأت الضحّة» (ادواردو غالينا)

**احمد زرم \***

بيدا فيلم «كفرناحوم» بمشهد لطفل يدعى «زين» يقف بملايسه الداخليّة القذرة ويفتح فمه أمام رجل يعاين أسنانه ويستنتج أنه في حوالى الخاتمة عشرة أو الثالثة عشرة من العمر. سوف تراقف الكاميرا هذا الطفل في معظم المشاهد اللاحقة مركّزة على وجهه المعتر والحزين بمصاحبة الموسيقى الوترية الحزينة عموماً. يمثل «زين» أمام قاض يساله عن سبب رفته لدعوى قضائيّة ضدّ والده – المائلن إلى جانبه في مواجهة القاضي ذاته – فيجيب أنه يقاضيهم لأنهما أتيا به إلى هذه الحياة. يعود الفيلم بمشاهد فلاش باك إلى حياة «زين» مع عائلته الفقيرة والخيرة العدد وتتعدّد مشاهد الشقاء والمعاناة وشطف العيش. يعترض «زين» على رغبة أهله في تزويج شقيقته الصغيرة، «سحر» ابنة الأحد عشر عاماً، إلى الشاب الخالدني صاحب الذكّان القريب - المتعلّش لغازلتها بلخص هذا المشهد المغزى الرئيسي للفيلم والشقّرة الأهمّ في السيناريو: إنها الافتعال، بمعنى الانطلاق من أفكار جاهزة ومسبقة ووضعها على لسان شخصيات بعيدة عنها، أو اختلاق مواقف لا تستقيم في المنطق وإرغام المتفرّج على ابتلاعها. يريد الفيلم إقناعنا أنّ الطفل الذي لم يدخل مدرسة ولم يقرأ كتاباً ولم يتلقّ تعليماً من أيّ نوع، يُدلي

بجواب فلسفي عميق وخطير ويتولى «زين» أمور «العناية» بالطفل «يوناس» في غياب «تيعيس» التي تلقى في السجّن بعد فقدانها أوراق الإقامة القانونيّة. طفل مشردّ يتدبّر شؤون طفل رضيع ويجرجه في الشوارع أثناء بيع المشروبات المخدّرة للمدمنين. يبيع «زين» الطفل أّخرى مرعماً لشخصيّة فاسدة الخاتمة عشرة أو الثالثة عشرة من العمر. سوف تراقف الكاميرا هذا الجنس مع أخته «سحر» إلى موتها. من داخل السجّن، يتصل «زين» بمعدّ البرامج جو معلوف ويروي فضّته له، (هكذا حرفياً). وبناء على إخبار من معدّ البرامج الشطيّ إياه، تتحرك الشرطة وتلقى القبض على العصاةة التي تبتزّ أموال العائلات الاجنبيات ويجري تسليم الطفل «يوناس» إلى أمّه «تيعيس» ويتبسم وجه «زين» للمرة الأولى في الفيلم أثناء أخذ صورة للهوثة.

هذه هي الخطوط العريضة للفيلم بشكل عام والمعروضة هنا لتسهيل النقاش. في مشهد مفصل في القسم الأخير من الفيلم، يسأل القاضي الطفل «زين» عمّا يريد من والده فيجيب ابن الخاتمة عشر عاماً أنه يريد منهم أن يتوفّوا عن الإنجاب. بلخص هذا المشهد المغزى الرئيسي للفيلم والشقّرة الأهمّ في السيناريو:

إنها الافتعال، بمعنى الانطلاق من أفكار جاهزة ومسبقة ووضعها على لسان شخصيات بعيدة عنها، أو اختلاق مواقف لا تستقيم في المنطق وإرغام المتفرّج على ابتلاعها. يريد الفيلم إقناعنا أنّ الطفل الذي لم يدخل مدرسة ولم يقرأ كتاباً ولم يتلقّ تعليماً من أيّ نوع، يُدلي

للتقلّ المشاعر العنصريّة البيوضة التي تلوم اللاجئين السوريين الفقراء، مثلاً، على «إنجابهم المنفلت» لأطفال وتبزّ فرض القيود التّعسّفية عليهم كما حصل في العديد من البلدات والقرى.

يقودنا هذا الكلام إلى ملاحظة أشمل تتعلّق بالطريقة التي يتناول بها الفيلم حياة الفقر والعوز والمعاناة لهؤلاء الفقراء والمهمّشين ومن ضمنهم العائلات الاجنبيات. على غرار العالم في المختبر الذي يدرس مادته في وعاء زجاجي ويضعها للميكروسكوب، يصنّ هذا الفيلم

على وضع «فقراته» و«مسحوقيه» و«معذبيه» في دائرة زجاجيّة مغلّقة بإحكام فلا يغادرونها ولا يتغالون فقرهم وسبب المرواحة فيه) كما يريد إقناعنا أنّ الطفل نفسه يرغب في رفع دعوى قضائيّة ضدّ والده انطلاقاً من لومه لهم على فقرهم. كان ينقص أن ينطق لسان «زين» ويتوسّع في شرح فضائل سياسة الطفل الواحد التي فرضها الحزب الشيوعي الصيني لمعالجة مشكلة الانحجار السكاني ويطالب بغرضها على الفقراء في لبنان، مثلاً. الخطير في هذه الفكرة ليس مجرد الملاحظة أنّ الأطفال عموماً لا يتحدّثون هكذا (باستثناء الأفلام اللبنيّة على ما يبدو) بل إن هذا التّفكير يمهّد ويؤسس الأرضيّة

ينتحنر اسوعياً بإلقاء أنفسهم من شرفات الأبنية، ومع ذلك لا يوجد في الفيلم مدّنبون حقيقيّون وراء مأساة «تيعيس»، بل يبقى المجرم الحقيقي مجهولاً ومغفلاً حسب السيناريو المقتل.

بصورة عامّة، يقدّم الفيلم الفقر كعلاء، أو وباء، أو كارثة طبيعية وقعت على عائلة الطالعة «زين»، ولا مجال لردّها أو البحث عن أسبابها وحيثيّاتها. الفقراء هنا هم فقراء وحسب، يلامون على فقرهم من قبل أبنائهم. وهم ليسوا فقراء لأن هناك لكن التحديق في بيئة الفقر بدون ويعتدي عليهم ويضيق عليهم بقوّة القانون الظالم. لا وجود لأيّ من هذه الهوموم في هذا الفيلم الهشّ فكريباً بشكل مرعب. ومن ثمّ فإنّ كلّ هذه المبالغة في تصوير المعاناة لا تبدو مقنعة أو منطقيّة أو حقيقيّة حتّى.



سينيا كرم في مشهد من الفيلم

### سينما

## «رحلة الشام 2701» بدءاً من اليوم في الصالات اللبنانية

## إبراهيم حاتمي کیا يهبط إلى جحيم «داعش»

### حديجة شكر

في أواخر صيف 2016، استقبلت «الجمعية اللبنانية للفنون – رسالات» السينمائي الإيراني إبراهيم حاتمي كيا (1961) الذي ينتمي إلى الجيل السينمائي الأول بعد الثورة الإسلامية في إيران. خلال تلك الزيارة الخاصة، ألقى حاتمي كيا عدداً من المحاضرات، ولعل من أبرز الملاحظات التي شدت عليها وقتها كانت عن الظلم الذي يحصل جراء «تغييب أهمية دور مجاهدي الدفاع المقدس في المشهد الإعلامي». وقد أشار إلى ضرورة العمل على تصويب الراي العام إلى تضحيات هذه الفصائل خصوصاً الإيرانية منها.

والذين يعرفون كيا جيداً، علموا أن هذه الملاحظة ليست سوى تصريح ضمنى لمشروع لا يلبث أن يظهر. فكيا يعتبر من أهم المخرجين الإيرانيين الذين عملوا على القضايا الإنسانية المتعلقة بالحرب، واشتهر بالمخرج الإيديولوجي وصانع الأفلام الانتقادية الموالية للقضية الثورة ومفهوم الجهاد.

وفعالاً، ما هي إلا أشهر قليلة حتى كان كيا ينتقل في جولة مفصلة على المحاور في المناطق السورية. جمع العديد من القصص والمعطيات عن تلك المحاور والجبهات، وخلص إلى اعتماد قصة تبرز محطة من هذا الدفاع بوجه التكفيريين، ووضعها ضمن قالب درامي قبل أن يتفق مع شركة «أوج» التي تعتبر من أهم المؤسسات في إيران (نتنح سنويا أفلاماً ومسلسلات عدة)، في منتصف 2017، قدم فريق إلى سوريا ولبنان، حيث تم اختيار الممثلين بدقة، وانطلقت عملية التصوير في سوريا بين مدينتي تدمر ودمشق، ثم انتقل فريق العمل إلى إيران حيث تابع تصوير باقي المشاهد منتقلاً بين شيراز وطهران بمساعدة

الحرس الثوري الإيراني» الذي أسهم كثيراً في إنجاح هذا الشريط. «رحلة الشام 2701» (113 د) يتناول موضوع الإرهاب متخلاً بداعش. تدور أحداثه حول ذهاب طيار إيراني وابته في مهمة إنسانية إلى مناطق الحرب في سوريا. تتعرض الطائرة للاحتجاز من قبل عناصر «داعش»، تتوالى أحداث الفيلم بعدها في قالب شيق، ومبهر، وتوعوي في أنّ لتشكل مرآة للوضع الراهن في سوريا. إذ سنصادف نماذج عن معظم عناصر المجتمع «داعش» وتناقضاتها الداخلية، المقاومون على اختلاف جنسياتهم، والشعب السوري حتى بما يتضمّنه من بيئة حاضنة للإرهاب.

الفيلم هو الأول من نوعه، سينمائياً التجارب في حياتي. حاولت أن أذهب فقط، بل حتى في ما بينهم. التقنية التي استعملها كيا في الدمج بين التركيز على القضية مع إدخال مشاهد الاكشن، شكّلت عنصر جذب ملفتاً في الفيلم. ويأتي الأداء المبهر للممثلن ليجعلك تنمahi مع شخصياتهم. ويعرف عن كيا أنه يشتغل كثيراً على الممثل، وهو في هذا العمل اعتمد خلطة بين الممثلين منحت غنى للعمل: بيار داغر، ندى أبو فرحات، خالد السيد، سينيا كرم، رامي عطالله، كارمن بصيص، جوزيف سلامةمن لبنان، ليت مفتي وعلي سكر من سوريا، وهادي حجازي فر، وبابك حميديان من إيران.

المطلون اللبنانيون المشاركون في الفيلم حضروا قبل أيام العرض الافتتاحي في «رسالات»، معربين عن ارتياحهم للعمل مع كيا. عن تجربتها، تقول سينثيا كرم لـ «الأخبار»: «كانت تلك من أبرز التجارب في حياتي. حاولت أن أذهب



جوزيف سلامة في مشهد من العمل

الذي يتقدّم بطرح موضوع «داعش» بهذه الجراءة، ويتقنية تنافسية عالية في جمالية الصورة، إلى جانب قوة وقساوة المشاهد، فضلاً عن السينوغرافيا والتأثيرات الصوتية. علماً أنه تنوّج بثلاث جوائز في ختام الدورة السادسة والثلاثين من «مهرجان فجر السينمائي» هي: جائزة أفضل إخراج (إبراهيم حاتمي كيا)، جائزة أفضل موسيقى (كارن همايونفر)، وجائزة أفضل هندسة صوتية (علي رضا علويان). يتوجّه الفيلم لكلّ من تعنيه قضية «داعش»، هو يضعك في تماس مع حقيقة هذه الجماعة، كاشفاً تناقضاتها الداخلية. كما يظهر الجانب اللاإنساني لأفرادها وغياب الرحمة ليس تجاه من يحاربونهم

### صوّر العمل في تدمر ودمشق، ثم شيراز وطهران

فقط، بل حتى في ما بينهم. التقنية التي استعملها كيا في الدمج بين التركيز على القضية مع إدخال مشاهد الاكشن، شكّلت عنصر جذب ملفتاً في الفيلم. ويأتي الأداء المبهر للممثلن ليجعلك تنمahi مع شخصياتهم. ويعرف عن كيا أنه يشتغل كثيراً على الممثل، وهو في هذا العمل اعتمد خلطة بين الممثلين منحت غنى للعمل: بيار داغر، ندى أبو فرحات، خالد السيد، سينيا كرم، رامي عطالله، كارمن بصيص، جوزيف سلامةمن لبنان، ليت مفتي وعلي سكر من سوريا، وهادي حجازي فر، وبابك حميديان من إيران.

المطلون اللبنانيون المشاركون في الفيلم حضروا قبل أيام العرض الافتتاحي في «رسالات»، معربين عن ارتياحهم للعمل مع كيا. عن تجربتها، تقول سينثيا كرم لـ «الأخبار»: «كانت تلك من أبرز التجارب في حياتي. حاولت أن أذهب

### شعر

## أخي حسّن…

عبد الصّفيّ طليس

(إلى السيّد حسن نصر الله

في «الملجأ»

حيث تعتقد إسرائيل أنّه…)

أخي حسّن أتيتُ بعُضن غارٍ/ ألمُّ جرحٍ من صنّعوا

انتصاري

عسّاك سلّمتُ حرباً بعدُ حرِّبٍ/ ليكُنلَ فيك خطُّ الانتظارِ

### ■ ■ ■

يُحيطكُ من جميعكُ خطُّ نارٍ/ ولعبتكُ الجميلةُ خطُّ نارٍ ومِرٌّ خطُّرٌ إلى خطُّرٍ تُعْثِي/ وطُفُّ عِدالكُ يشكُّنُ في الجِدَارِ وتَسألُ أينُ ضَاعَ الموثُ عُنِي/ كأنَّ الموثَ نذُكُ في الجوارِ أتيتُ منَ المُسَيِّنِ وفيك لُغٌ ال/ أسدٌةُ قلتَ أطمعُ في اعتذارِ لاني لِمَ كُنُّ في كَرْبِلاَءٍ/ وإنَّ كانَ الحِيارُ بها .. حِيارِ أنا نسلُ الجنوبيّ الذي لا / يرى في قلبه غيرَ الشّهارِ وعند كرامتي أوقفتُ مدأً / عِوابتُهُ .. التّسليّ في حِضاري أنا الأرض التي ابتلعتُ بنينها/ لِتَحْمِيهمُ .. كَلُولُوةُ الحَارِ أنا الأعداءُ خافوا من ثرابي/ فَصَارُوا يَعتَلُونُ مَعَ العُبارِ ..

### ■ ■ ■

يَهودُ فوقَ أكثافيّ / يَهودُ/ على رأسي / يَهودُ خلف داري يَهودُ في القديم طيورُ شُرٍّ/ يَهودُ حاضرون كما الضواري يَهودُ هاهنا.. مِنأَ .. وفيها/ هُوذُا عَرَياً.. وقيل عن اختبَار! أخي حسّن .. فلمُ تَهوُّ اعتزالاً / ولمُ تخنُقْ سماءكُ في شِعارِ وَقَلتُ أهْرُ ما سكنَ الرّوايا / ومَا خَرَفَ الكِرَامِ عَن الصّدَارِ وأُخرَجُ.. ما أنا أشيرُ بِفِكْرٍ/ ولا يُطوِّ بِأشْوارِ الفَخّارِ وكانَ العُزُبُ نِوامين.. حتّى/ فلا يرضونَ حُلْمًا.. عَن مَنَار! فقلتُ إذا قرأَ الرُعبُ نِوَمٍ/ فإنَّ الفجرَ يطلُّ من قراري..

وكانَ اليكُ بآرِي كُلُّ قَلْبِي/ بهِ تَعَلّقتُ عُضُونُ بالثَمَارِ تجعُّ شَمْلُهُمُ حَرْفًا حَرْفًا/ كَمَنْ خَلِقُوا جُسومًا من جِمارِ ومُدُوا شَمْرُ أدرِعةٍ فأضحوأ/ على الأرض العروسِ كالسّوارِ ومنَ صَهْبُونِ جاؤوا في بلادي / بذابِقَةٍ تعيش.. على الثَمَارِ فكانَ قتالنا عشقًا عظيماً/ بهمُ أدَى إلى... عشقِ الفُزارِ.. فَمِهمُمُ بالرّصاصِ قَضى، ومِهمُمُ/ قَضى رَبِياً.. بأبياتِ قِصارِ ولمُ يسلمُ لَهُمُ جَنُفٌ وظُفُرٌ/ ولمُ يأمُرُ يمينٌ منَ يَسارِ وَبَاتتُ رَقَبَةُ الجَلادِ فيهمُ/ تَمَنّي النّفسَ طَوْعًا.. بانثخارِ بكتُ رُتَبُ العسّاكرِ خائِراتٍ/ فما عُرِفَ الصَغْأرُ من الكِبَار! ■ ■ ■

أخي حسّن.. وتلك الشّامُ صاحتُ/ هلّ الإسلامُ نفعٌ في

سُعارِ؟

يَهودُ آخرون.. وقد أتُونأ/ بإسلامٍ مُصابٍ بالثُوارِ

فَهَلْ لنكايةِ الأعرابِ شغلُ/ سيوى رَجْمِ العروبةِ بالحبّارِ

وهلّ لعروبةِ الأعرابِ مَعْنَى / وإسرائيل فيهمُ.. كالمزّارِ؟

### ■ ■ ■

أخي حسّن... وأعرفُ أنّ يُومًا/ منَ القومِ اصطفاكُ لِرُعي عارِ راكٌ جمالٌ عبِدُ النّصْرِ فينأ/ ويُوْمُ القومِ أعرفُ بالكِنَارِ فِوَلَةُ كارهيكُ العِظَمُ مِنْ أنّ/ فُتِنْتُ وما فُتِنْتُ بذى الفَقّارِ فسَمايحُ يا أخي حسّنأَ.. وأُحْسِنُ / إلى منَ ليس يدري.. وهُو دار! ■ ■ ■

أخي حسّن.. وثِقنأَ فيكُ: رُؤْيُا/ تَسابِقُ ما تَكُوكِبُ في المَسارِ ضننّتُ الجيلِ مِنْ رَأْيِ رِوِجٍ/ وخَسُنْتُ بهِ العِزامَ على العِغارِ وَيظهُرُ في فلسطينٍ.. إلهُ، يُشْبِهُلِ القدسَ مِنْ سُوقِ القِمّارِ يجيلِ مِنْ بَنِي العِشرينِ حَبًا / يُتَسَمَلُ.. بالرّوجِ إلى الدِّيارِ بهِ يَحْزَنُكُ الشُّمَالُ في مرٍّ/ على عرشِ الرّياسَةِ فيبُهُ عارِ كأَنَّ الكونَ ينظرُ كيفُ تَلُغِي/ مُعاداةَ الرُّمّانِ المُستَعَارِ ..

وكيفُ الأرضُ تخلعُ نُوبَ رِقصٍ/ لِتلبّسَ سِفْهاً.. أحيانًا يَخارُ ..

أخي حسّن.. وطَمِئِنِّي خِتامًا/ على نفسي. عليك.. على

الرّواري

سنَمَكُنُكُ بيُننا عُمرًا طويلًا/ أخي .. أمَ راعِبٍ في الإختصارِ؟

<sup>[1]</sup> «رحلة الشام 2701» بدأ من اليوم في الصالات اللبنانية و«رسالات»